



فهرست الحيوان

منصف الوهايبي

«الحيوان في الكون مثل الماء في الماء»

جورج باتاي

1. مثل حلزون أكسل تورسكاي

بخطى حلزون أتقدم في أعوامي الخمسين

أتجمع أو أتخلق

منزلقا في نفق لا بدء له لا آخر،

(سمّاه أكسل تورسكاي هوّيته).

جسدي بيدي

وطريقي فيه

لا يعنيني أبدا إن كان لأحلامي دم هرطيق ونبي .

والآن هنا

في قوقعة لا يأتيها الماء ولا الريح ،

عالقة في أعلى التين الشوكي ،

أنظر تحتي وأقول :

حقا لا ينقضي إلا الأرض !

القيروان ، خريف 2005

2. كيف لم نظر

وقفت بباب القيروان كأنني قفنا بك من ذكرى حبيب ومنزل

دار من دون شبابيك وأبواب

لم نعرف قط أننا ندخلها أم نخرج منها

كنا نعرف أن الشهوة أخت الشمس ،

وكنّا نتعلم فيها كيف نحكي الماء .

لا أذكر غير دوالي الأعناب

أروقة وسجوف مرسلّة في الأرض

سوى ظلي يدخل في ظلك أو يخرج

عنقودا عنبياً في لون بنفسجة بيضاء .

كيف إذن

لم نر تلك الزهرة الزرقاء
تبزغ في رأس الترنجان ،
ولا الشرقرق الذي كان يقلد السماء!؟

القيروان ، صيف 2005

3. إيكاروس

لا شيء هنا في ال *piazza del popolo*
يوقف هذا الأزرق منزلقا في أسوده المبلول
حيث حمامات بيض زرق تتسكع أو تتزلج غير مبالية
بالسابلة العجلين
بخيوط دمي متحركة تهرع نحو مكاتبها
أو نحو السوير ماركيت
مثل علامات استفهام؟؟

في *piazza del popolo*
حيث عراقيون إلى ألواح الطين
يقفون فرادى
حيث تهيأ لي أنني ألمح وجهها أعرفه ، يشبه سركون بولص
مغروزا كالتخلة في قبعة خضراء
حط على مقربة مني فرخ حمام
قال الآشوري القادم من كركوك - حين هممت به :-

دعه هذي ليست بحمام ، هذي أبقار أروبا الهنديّة ، لا أحد يزعجها؟

قلت : وأنت؟ أأنت إذن؟! ماذا ترسم؟

- تعويذة كوتيمو

من خشب السرو بنينا أبواب المعبد ،

زيناها بشرائط من ذهب الفضة ،

شيدنا مرقد آشور من الطابوق ،

وجئت هنا أنحت تمثالي في هيئة إيكاروس .

لكني (يضحك) في الليل أعود بأجنحتي المقصوفة ،

كي أحلم في عيني «كانيشي» وأنام .

روما - خريف 2004

4. نوارس نسيت أن تطير

من شرفة بيت قرب البحر ،

أراهنّ صباحا ينشرن شباكا في هيئة أجنحة ،

حيث الرمل بصبغ القرمز ،

والأيدي تتلوى أقواس دوائر ،

أيد تتلّهب للطيران

وأجساد تستوفر ،

حيث الصّوء عموديا يتساقط في دنيا الماء .

في السرير

في الحفيف الذي يتخلل ليل ملاءاته

عندما تتضاعف أجسادنا

في النهيغ الذي يتصاعد منك بطيئا . . دفيئا : «وصلت؟»
إذن في السّرير
نتذكر أنّ النساء
نوارس ، من وحم نسيت أن تطير .

أفيرو ، البرتغال صيف 2004

5. أنا وحماري

وقد طوّفت بالآفاق حتّى . . . امرؤ القيس

من نافذتي في تمبكتو
مّر رجال ونساء بجلود رجال ونساء
مّروا بجلود الماعز ،
مّروا بضجيج العجلات
مّروا في ريح العربات .

وأنا لم أبرح
وكأن قيد حمار لي من مربوط نجار
لكن من يبصرني
ويرى بيتي القائم في مفترق الصّحراء
يتوهّم أنّي أبدا كنت على سفر من أسفاري .

واليوم نظرت إلى وجهي في المرآة
وهنت منّي العينان
والشيب علا رأسي .

قلت إلام أنا في هذا القبو المهجور،
أقلب أوراقه،
وأنقب في أسقاط المخطوطات
عن بيت لم تبق سوى قافية منه
شاهدة في أضرحة الكلمات!؟

قلت أزور إذن ترشيش
وأروح عن نفسي بمباهجها
ترشيش الجنة . . ترشيش الخضراء!

وخرجت أنا وحماري عند تباشير الفجر
وقطعنا أودية ومفازات
ثالثنا ظلّ معتوه يحملنا نحن الاثنين
يمشي بحوافر أربعة، ويدبّ برأسين .
ومررنا بقري وبساتين
وما لاحت ترشيش
وظللنا نمشي حتى ثقلت أجفاني
واستيقظت على ضوء يعشي عيني، وصوت يدعوني باسمي
أصغيت فلم أتميز شيئاً في فوضى الأصوات .
ونظرت . . أهدي ترشيش؟
لكن ما بال الأشجار هنا تهدي؟!
ونجومك لا تتوقد في عتبات الماء!؟
ولماذا أخليت الدور هنا لسوى أهلها من أفاقين ومن غرباء!؟

كان حماري يتباطأ، ينصب أذنيه، ويشمّ غبار الأرض (تري أخطأت طريقك أم؟)

ونظرت . . كآني أعرف هذا النخل يلوّح لي بسعائفه!؟
هذا المسجد!؟ هذا السوق!؟
هذي المرأة بائعة الأ سورة الفضية!؟
هذا البيت القائم في مفترق الصحراء!؟
كم يشبه بيتي!؟
هذا المتسول في بابي!؟
كم يشبهني!؟
هل عدت إذن أدراجي
أم أنّ هنالك شيئاً لي
يأبى أن يتسمّى!؟
وتدحرجت إلى بيتي
وأنا أتقلب في ضحكّي .

كان حماراً أعمى!

القيروان ، شتاء 2004

6. بعيني محي الدين بن عربي . . بجناحي زمّجتين

إلى جينياه
قصر عربيّ في مرتولا ، من لبن فضّيّ ذهبيّ
منتصب حذو النهر وحيدا ،
طفنا طول اليوم به ،
لا عسس في الأبراج ولا أحد من أهليه .
ماذا لو فتّحنا هذا الباب الأخضر سيديتي
باب السرو على مصراعيه

ودلفنا!؟

ماذا لو نحن سكنا فيه!؟

لكن كيف به؟

كيف؟ وثمة شيء ما ينقصه أو ينقصنا

شيء لا أدريه!؟

حين رجعنا في اليوم التالي

(قضيت الليل إلى جنبك أحلم بالقصر وما فيه)

ونظرت ملثا في ضوء الشمس إليه

كان الركن الأيمن ينقصه حجر

والركن الأيسر أيضا،

ورأيت القصر - ونحن الاثنين

لم نبرح موضعنا.

يستكمل ركنيه

وإذا نحن هنا في موقفنا

وهناك في أعلى الركنين

منطبعان مكان الحجرين!

كان الوقت صباحا

- والباب على مصراعيه

مفتوح -

حين رأينا ظلينا كجناحي زمجتين

يستبقان الأ فواج إليه .

7. في أنياب القطة

إلى غسان

كيف لنا أن نتلاقى؟

وأنا أستيقظ حين تنام

وأنام إذا استيقظت؟

ولكنني الليلة في الأحلام

استيقظت على صوتك ملهوفاً يدعوني،

فهرعت إلى الباب بكل حرارة روجي

لا شيء سوى قضبان سود في نافذة عمياء

وسرير أبيض خال،

وصرخت صراخك يوم لمحت حمامتك البيضاء

تتدلى في أنياب القطة!؟

كي أسترجع حلمي

وأراك

لا بد إذن من نوم ثان في نومي .

القبروان، صيف 2003

8. الأوابد تلك التي . . .

الطيور الأوابد تلك التي تتلاعب بالظل والريح،

أو تتسكع عند سفوح الجبال

التي كان يرشقها بحجارة مقلاعه،

ويقول الغبار الذي يتبدد أزرق . . أبيض . . في الريح

ريش ملائكة ، سوف يهبطن ليلا إليّ ،
يهددني ، ثم يحملني في سريري
إلى بيتهم وراء الجبال
التي سرقت منه أولى أغانيه ،
تلك التي كان يبذرهما حبة ، حبة ،
فإذا أينعت لقطتها الأوابد من يده حبة ، حبة ،
ثم طارت إلى بيتها في صدوع الجبال
كلما صاح ردي إليّ أغانيّ ،
جاوبه ضحك ثم همهمة تتردد في جنبات الجبال
الأوابد تلك التي . . .

القيروان ، صيف 2003

9. بالاسود والأبيض

إلى طاغور ذكري زهرة الشامبا

قلت لأمي :

ماذا لو عدت إذن طفلاً؟

لأعودنّ إلى حلم من أحلامي

أن أتحوّل قَطاً في غمضة عين .

سأطوف بدارتنا بيتنا بيتنا

وأنظّ إلى سطح حيث أطلّ على السّاحات

وأرى الناس أراهم حشداً من نمل أسود أبيض

يغدو ويروح

أو أتسلق شباكاً مفتوح
أترصد دورياً يستوفز في حاشية البئر،
أباغته فأضّم على القلب جناحيه
والأعبه، لكنني أطلقه، وأموء أموء له
حين أرى الرعب المتوثّب في عينيه .
وسأسمع همسك « قد كان هنا منذ قليل! »،
أو صوتك ملهوفاً « يا ابني أين تخفّيت إذن؟ أين؟
لا تفجع قلبي . بالله . عليك! »

أبدان يخطر في بالك يا أمي أنني
هذا القطّ الجالس فوق السّجاد إلى قدميك الحافيتين
أنّي هذا القطّ يدحرج في نرق،
كرة الصّوف البيضاء إليك
أو يكسر فنجانا
أو يقلب جرّة فخّار . . . أو . . .
وأرى الدهشة في عينيك السّوداوين :
« هذا قطّ لا أعرفه؟ كيف تسلل للبيت!؟ »
وسأضحك كالقطّ الجذلان
- وأنا أسمع صوتك ينهرني -
« هيا اخرج يا قطّ الجيران
لا ينقصني إلا أنت!؟ »

ثم أراك تهّمين إلى الباب ، فأقفز بين يديك
فأنا أخشى . والله . عليك

من نرقي،
فأعود كما كنت إذن طفلا، أتوسد زنديك
وأقصّ عليك
بالأسود والأبيض يا أمي
قصص الحيوانات .

القيروان ، شتاء 2002

10. استراتيجية الديك

لم يعد الديك كما كان
فقد ضمّ جناحيه وعضّ الصوت وأخلد للنوم .

قلت لماذا لا أتهدجى أوقات الليل إذن، فأقسط أصوات الديك عليها؟

وتسللت إلى سطح البيت هزيعا .

كانت تمبكتو نائمة تحت سطوح منازلها .

وأخذت أضحى، وأنفش في ريح الليل يدين جناحين،

إلى أن جاوبني ديك في أعلى السور،

فديك ثان . . .

ثم علا أفق بصياح ديوك،

كان التمبكتيون معي

من سطح في الليل إلى سطح يتنادون،

وقد مدّوا أعناق ديوك لنهار موعود .

وأنا أعلو بجناحين:

جناح بالمشرق معقود، وجناح بالمغرب معقود

وقوائيم في الغيم .

القيروان ، ربيع 2002

11. هو والحمار

إلى شاهر خضرة ، ذكرى كتاب سري

كلما سرنا معا والنهر ،
لم تظهر لنا في الماء إلا صورتي مخضلة مرتبكه!
وحماري واقف ينقل عينيه من الماء إلينا
أترى يسأل عن صورته كيف اختفت في الماء أم يضحك مني
ويداري بنهيتي ضحكه!؟

دمشق صيف 2002

12. هو والهدهد

الذي جاءني بالتبأ
وأراني سبأ
وبساتين بلقيس مزهوة في الربيع بخضرتها
صاحبي
عدته في الوداع الأخير
وهنت في أظافره السود عينان لؤلؤتان
وخبأ في جناحيه ضوء ، فلم يرخ لي ذنبا ،
لم يجر جناحين ، قال : « ترى كيف صار الجسد؟
هو قبر يسير بصاحبه أو يطير! »

قلت: « والموت؟ »

قال: « سينتف ريشي ويلقي بلحمي إلى النمل. »

قلت: « تبصره؟ »

قال: « حاصل أسمائنا. »

قلت: « تبصره؟ »

قال: « عود ثقاب

يترجج في مفرق الريح حتى الأبد. »

قلت: « تبصره؟ »

قال: « لا »

قلت: « كيف؟ ألسنت الذي يبصر الماء في باطن الأرض، من شاهر؟! »

قال: « لو كانت الأرض لي كالزجاج، إذن كنت أبصرته

ناصبا فحّه في التراب. »

أمس مات

صاحبي، وجناحه منطويان

على عدم الكلمات.

القيروان، خريف 2002

13. قط أندلسي

« قط أندلسي ينظر من بلور أسود، يتبعنا في غرناطة طول اليوم

نتسكع في البيازين

يتسكع!

نرقى سلمها الحجري

يرقاه!

نهبط

يهبط!
نعبّر نهر «الدارو»
يعبره!
نصعد نحو الحمراء
يصعد!
نستنبت في أرييسك أبي عبدالله جناحين
يستنبت!
نوشك أن نتحوّل عصفورين
يوشك!

من دلّ علينا هذا القطّ الأندلسي؟
ولماذا يتبعنا نحن الاثنين!؟

حين دخلنا غابتنا الأولى
في ليلتنا الأولى
وفرشت جناح الأعشاب
كنا نقفز من غصن في الليل إلى غصن،
هذا الجلد الأزرق؟ جلدك أم جلدي!
هذا الصوت؟ رجيع الهرة أم إفراق النحل!
هذي الفروة تحت السّرة؟ فروة هرّ أم سنجاب!؟

كنا في لغة الصّصال الأولى
نخلع أضواء الجسدين
نهبط في الأرض عميقا
نوشك أن نتحوّل عصفورين

إذ فتح القَطّ الأندلسي علينا الباب
وتقدّم يسحب ذيلاً أزرق كالليل!

غرناطة، صيف 2001

14. أكواريوم مروان

ماذا ينقص هذا الأكواريوم؟

هذي الكرة الزرقاء؟

الموج أم الريح؟

ماذا ينقصه؟

الأسماك به تغدو وتروح

لكن ليس بها نرق الأسماك وبهجتها

إذ تتقاذف ضاحكة في الماء!؟

لكأنّ الأسماك

تسبح ذاهلة فيه

لكأنّ الأسماك

يوغرها شيء لا أدريه!؟

ماذا ينقصها في هذا الأكواريوم؟

أوليس بجنتها!؟

والجنت مغلقة أبدا!؟

ماذا ينقصها؟ خوف أم قلق؟

أو لا بدّ لهذي الأسماك إذن من صيادين ومن سفن وشباك!؟

حتى يصبح هذا الأكواريوم

بحرا تغدو أسماكك ضاحكة فيه وتروح
لا بدّ إذن للجنة من نار،
لا بدّ لها من أفق مفتوح .

القيروان ربيع 2001

15 . استراتيجيّة الذئب الكنعاني

لكأنك تهبط من ليل الملكوت
تنزل غابتك الأولى ، في ليلتك الأولى
الأشجار حواليك جذوع ذئاب
والأحجار نيوب ذئاب
ونجوم الليل عيون ذئاب!
وكانّ الأرض تدور الليلة في مغزلها دورتها الأولى!
وكانّ الماء العذب يؤاخي الماء الملح،
ويمتزجان معا تحت ضباب!
وكانّ عناة الليلة تصعد ثمانية درجات الموت السبع،
إلى أعلى عليين!
والليلة لا نائمة ، لا صوت ! سوى أضواء يابسة،
تترجّح في أغصان نائية ونجوم من طين!

وكانّك تخرج من غابتك الأولى ، في ليلتك الأولى!
الأفق حواليك عواء ذئاب
تتنادى من كلّ جهات الأرض عليك!
تهجّج الليلة ألواح الفخار بأوغاريت ! اقرأها جرسا . . جرسا . .
ينبت لك فكّ الذئب ! اقرأها بعيون الموتى الآتين!

الوهابي: فهرست الحيوان

ينبت لك ناب الذئب! استنفر في دمك الليلة كلّ دماء الكنعانيين!
فسيكسو جلدك أنت العاري وبر الذئب ، وتجري فيك دماء الذئب ،
وتسعى الليلة ذئبا في إثر ذئاب!

القيروان ، خريف 2000

16. غزال

ثمّ خيط ضئيل من الشمس ، أزرق ، ينسلّ عبر الشجر
ويضيء الفريسة ، نسر يدور بها ، يغسل الأرض من ريحها ، ويدور ، جناحاه

منبسطان على الأرض ، منطويان
فك يتتبع ماء الحلازين . . أبيض . . أصفر . . حيث الفريسة جرح صغير يفور ،
وعينان واسعتان ،
وحدها تحفظ السرّ شاحبة كالبراءة ، ساهية كالحجر .

لوديف ، جنوب فرنسا ، صيف 2000

17. مجاز مرسل

جبل لم يلع وسط جبس الضباب
غير رأس وعين
قلت لا بدّ أنّ العصافير وهي معلقة في السحاب
تساءل عن ساقه كيف غارت؟ وأين!؟

حاجب العيون (القيروان) ، شتاء 2000

18. هو والكلب

إلى صاحب الحكاية نصّا على نصّ

أمس قبيل غروب الشمس

خرجت وكلبي نتسكع أو تنتزه في الطرقات .
أحكمت زمام الكلب إلى رسغ يدي
أعرف أنّ الكلب ابن الكلب له عادات غير العادات
قد يجار أو ينعظ أو يفلت
وهو يرى كلبة جارتنا تنتزه في هذي الساعة بالذات .

الحق أقول أنا أتلصص من نافذتي
فإذا أبصرت بجارتنا تخرج والكلبة ، ناديت على كلبي
وخرجنا مثلهما تنتزه أو نتسكع في الطرقات .

وعلى كل فأنا أحكمت زمام الكلب إلى رسغ يدي
وخرجنا نتمشى في الشارع محفوفين بأشجار النخل على جنبه .
كنت حزينا بعض الشيء ،
وكلبي كان حزينا أيضا بعض الشيء ،
فجارتنا لم تخرج هذا اليوم على عاداتها
والكلبة لم تنبح في هذا الوقت على عاداتها .

كنت أدير بقية أغنية ، والكلب يسير ورائي في مقوده
أتوقف إذ يتوقف ،
أمشي إذ يمشي ،
أتلقت إذ يتلقت ،
وهو ورائي ، يتبع أنفه ، يستقرئ رائحة الأرض ،
يححث ما يترفرق منها بيديه ورجليه
أو يقفز نحوي يلحسني أو يتشممني
فأرقصه وأناغيه .
(هو يفهمني وأنا أفهمه
فلنا لغة واحدة بكما
لغة من أجراس خافية وإشارات

لغة الماء الجاري في الماء
لغة نحن تعهدناها جرسا . . جرسا . .
صوتا . . صوتا . . من سنوات .)

الحق أنا لم أفهم كلبى هذا اليوم ،
فقد ألقى بقرن أذنيه
يحكّ اليمنى باليسرى ويصرّهما!
أومأت إليه ، استمهلني
ناديت عليه ، فلم يأبه لي .
(قلت لعلّ به شيئا لا أدريه!؟
أم هو يصغى لهسيس النسغ الصاعد في صمت النخلات؟
أم أنّ الأشياء له تتسمّى
فيسمّيها في لغة أخرى لا تحويها أجراس أو كلمات؟)

حتى أعياني
فجذبت المقود ، لم يتحرّك ،
وجذبت . . تقرّس فيّ بعيني ذئب (هل أبصر كلبة جارتنا وتشمّم رائحة الأنثى؟)
وبدأنا نتجاذب منشدين إلى الأرض معا
وأنا أتلوّ . . أتقّوس . . أوداجي ناتئة ، ولساني يتدلّى
وإذا بي أتهاوى
وأنا أنبح ، ملقى في الأرض ، عليه : « اتركني يابن الكلب . . اتركني !؟ »
والكلب ابن الكلب يجرجرني محطوم الوجه ، مدّنى في وعشاء الطرقات .

القيروان ، شتاء 2000